القرآنية في شعر العلّامة الأوردبادي

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٢
تاريخ القبول: ٢٧/ ١١/ ٢٠٢٢
تاريخ النشر: ١/ ٤/ ٢٠٢٣

الكلمات المفتاحية:
القرانية، الاوربادي، شعراء اهل البيت، القرانية المباشرة، القرانية غير المباشرة

ملخص البحث:

القرانية مصطلح معاصر يروم أن يجمع بين ثناياه مصطلحات سبقته وقاربته في المفهوم كالإقتباس والتضمين والتناص، لكنه أختص عنها بالاثر القراني ويحاول البحث تلمس القرانية في شعر شاعر لم يسلط عليه الضوء قبلا، ولم يخضع نتاجه الادبي للدراسة على الرغم من اجادته وتمكنه في النظم بشهادة معاصريه من الادباء، وهو العلامة محمد علي الاوربادي (ت ١٣٨٠هـ) ويعد شاعرنا من شعراء أهل البيت(ع) اذ طفح شعره بمديحهم ورثائهم الى جانب اغراض شعرية اخرى تنم عن شاعريته، إذ تناول التمهيد مقتطفات من حياة الشاعر، ومفهوم القرانية، ثم خصص المبحث الاول للقرانية المباشرة المحوّرة، والمبحث الثاني للقرانية غير المباشرة المحورة، معتمدا على عددا من المصادر والمظان الادبية والتاريخية.

القرآنية في شعر العلّامة الأوردبادي

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

Qurania Concept in in the poetry of the scholar Urbadian

Ali Habib Ghadban/ Karbala University/College of Islamic Sciences

Received: 10 /10/2022
Accepted:27/11/2022
Published:1/4/2023

Keywords:
The Qurania Touch, Divan of Ahl al-Bayt, Urbadian

Abstract

The" Qur'ania " is a contemporary term that aims to combine under its folds some other terms that preceded and approached it in the meaning, such as: quotation, embedding and intertextuality. However, the Qurania concept singles out in its Qur'anic effect.

The search tries to find the " Qur'ania " touch in the works of a poet who had not been shed light on before nor his literary output was subjected to such a study despite his proficiency and ability to poetry which praised by his contemporary writers.

The port in question is the scholar Muhammad Ali Al-Urbadi (d. 1380 AH). He is considered one of Ahl al-Bayt's poets (peace be upon them) as his poetry was overflowing with their praise and lamenting, along with other poetic purposes that reflect his poeticism.

القرآنية في شعر العلّامة الأوردبادي

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

مقدمة البحث

لا يخفى أنّ القرآن هو مصدر من مصادر الإلهام الشعري للشعراء، ورافدً أساسي من روافد النص الإبداعي، ومنهل للذين يسعون إلى إثراء خطاباتهم الأدبية، فقد استقوا منه بعض الآيات القرآنية التي تمثلوا بها في أشعارهم، لاسيما في مدائحهم ومراثيهم لأهل بيت النبوة (عليهم السلام)، فجمعوا من خلال ذلك بين القرآنين الصامت والناطق، معبرين من خلال الصور الفنية والدلالات الموحية عن القيم القرآنية المتجسدة فيهم.

وقد برز في عصرنا الحديث جملة من الشعراء جمعوا بين العلوم الدينية، معقولها ومنقولها، وبين الصنعة الأدبية، فبرعوا في صنعتهم مستفيدين من المناحي الثقافية المتنوّعة التي صقلت موهبتهم، موظفين ما تلقفوه في دور العلم والعبادة في أشعارهم، فأضحت قصائدهم ملأى بالمعاني السامية والأفكار النبيلة والصور الموحية، مما جعل أدبهم ينماز غالباً بالصدق الفني.

ومن هؤلاء الشعراء الفقهاء العلّامة الأوردبادي، أحد علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، الذي جاء شعره طافحاً بالمعاني القرآنية التي استقاها من تنشئته البيئية والعلمية، فقد نشأ وترعرع في بيت علم وفضيلة، وتلقى علومه على أيدي كبار علماء الطائفة، فأضحى فقيهاً عالماً، شاعراً أديباً، فكانت القرآنية ركيزة من الركائز الأساسية في شعره، ووظفها بنوعيها المباشر وغير المباشر، بعد أن صاغها في قوالب فنية رائعة، كَستها رونقاً وجمالاً أدبياً، متوخياً في كل ذلك إيصال تلك المعاني السامية إلى المتلقي، وبثها في الآفاق.

لذا عقدنا هذا البحث لنتلمّس من خلاله آثار تلك القرآنية في شعره المجموع بين دفتي ديوانٍ، واتخذنا له عنواناً هو (القرآنية في شعر العلّامة الأوردبادي)، وتماشياً مع متطلبات منهج البحث العلمي قُسّم البحث على مبحثين يسبقها تمهيد، ذكرنا فيه مقتطفات من حياة العلّامة المتعلقة باسمه ونسبه ونشأته وتعلّمه، وأدبه وشعره، وبعض من مواقفه السياسية، ثم شيوخه وآثاره، فوفاته، ثم تعرضها لمفهوم القرآنية التي اتخذناها منهجاً في هذا البحث متيمّنين ببعض الباحثين المعاصرين، فكان الكلام فيها على المصطلح وما يتصل به من مصطلحات سابقة عليه.

وسلّط المبحث الأول الضوء على (القرآنية المباشرة المحوّرة) في شعر الأوردبادي، وضم عدداً

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

من الأبيات التي تضمّنت هذا النوع من القرآنية، مع التعليق والتوضيح، ثم جاء المبحث الثاني في الحديث عن (القرآنية غير المباشرة المحوّرة)، وأبرز مصاديقها ومضامينها في شعر الشاعر، ثم كان الختام ببعض النقاط المتأتية من البحث.

التمهيد: مقتطفات من سيرة العلّامة محمد علي الأوردبادي

علمٌ من أعلام الشيعة في القرن الرابع عشر، ونابغة في مختلف العلوم، فعرف عنه أنه كان فقيهاً وأديباً وشاعراً بارعاً، ووصفه معاصروه بالعبقرية لذكائه المفرط، واستعداده الفطري على النبوغ، حيث برع في الأدب والشعر، حتى صار حجةً في علوم اللغة العربية، والفقه والأصول، والحديث، والرجال، والكلام، والتفسير، وغيرها، وسيتناول هذا المبحث مقتطفاتٍ سيرة هذا العلاَّمة المعطاء تمهيداً لدراسة القرآنية في شعره.

اسمه ونسبه:

هو الشيخ محمد علي ابن الميرزا أبي القاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم الأوردبادي التبريزي النجفي نزيل النجف، هو أحد الفطاحل من علماء القرن الرابع عشر، والده: الفقيه الجليل العلامة ميرزا أبو القاسم بن محمد تقي الأوردبادي، أحد فقهاء الاجلاء، ولد في سنة ١٢٧٤هـ، وأخذ من أساطين الدين غير أنه أتم دروسه العالية في النجف الأشرف لدى الأعلام، ، الفقيه الشيخ محمد حسين الكاظمي، والمحقق الفاضل الأيرواني، والمولى علي النهاوندي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ، أمّا لقبه: الأوردبادي؛ فنسبة إلى بلدة أُردباد التي تقع على الحدود بين اذربيجان والقفقاز قرب نهر أرس[١]

ولادته ونشأته

وُلد الشيخ محمد علي الأوردبادي ٢١ رجب عام ١٣١٢هـ [٢]، في مدينة تبريز، وهو من أسرة عربية نزحت إلى هناك، وأتى به والده العالم الجليل إلى النجف بعد خمس سنوات من ولادته [٣]، وأخذ العلم عن والده ثم عن أستاذه العالم شيخ الشريعة الأصفهاني، وحجة الإسلام الميرزا علي آقا الشيرازي، والبلاغي، والشيخ محمد حسين الأصبهاني[٤].

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

نشأ وتعلم في النجف الأشرف ووجهه والده خير توجيه(٥)، وقرأ المقدمات الأولية على لفيف من رجال الفضل والعلم، ثم حضر دروسًا في الفقه والأصول على والده، وعلى شيخ الشريعة الأصفهاني، كما أخذ عنه الحديث والرجال أيضاً، والسيد الميرزا علي بن المجدد الشيرازي، ودرس التفسير والكلام على الشيخ محمد جواد البلاغي، ودرس الفلسفة على الشيخ محمد حسين الأصفهاني، ولازم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخرين أكثر من عشرين سنة(٦)، فكان من رجال العلم والأدب، عرف بنكران الذات،و بذل الكثير في مساعدة المؤلفين والمحققين قربة لله وخدمة للعلم وأهله، دون أن ينهمك في مشاريعه الخاصة التي تحسب له، لذلك لم تظهر له آثار تتناسب ومقامه الرفيع وضخامة علمه (٧).

أدبه وشعره:

يعدّ العلّامة الأوردبادي من متقدمي العصر في الأدب والشعر والتاريخ وقوة الحفظ، جرت بينه وبين أُدباء عصره مكاتبات ومطارحات أدبية نظماً ونثراً، فكان له موقع ممتاز عند الأُدباء والمتأدبين، والذي ينبغي ذكره أن العلّامة الأوردبادي ; قرّظ كثيراً من مؤلفات معاصريه بمقاطيع تنمّ عن شاعرية قوية وأدب رفيع، كما أن قصائده انتشرت في سائر الكتب المطبوعة في عصره، كشهداء الفضيلة للعلامة الأميني، وشعراء الغري للخاقاني، وخاصة قصائده التي أنشأها في أهل البيت عليهم السلام فقد تناقلتها ألسُنُ الخطباء على المنابر، وأقلامُ المؤمنين في كتبهم المؤلفة عن حياة المعصومين عليهم السلام، وللعلامة الأوردبادي ; أكثر من ستة آلاف بيت في شتى الأغراض، وأكثرها في أهل البيت عليهم السلام والمناسبات الدينية، حتى قيل: إن شعره الذي أنشأه في شبابه في الأغراض المختلفة أتلفه لتقيده بالمظهر الروحي، وكان العلّامة الراحل; ينظم الشعر باللغة العربية والفارسية، ولكن شعره الفارسي قليل(٨).وقد طُبع ديوان شعره في ضمن موسوعته،بواقع (٦٠٠) صفحة مع الفهارس الفنية، واحتوى على مختلف الأغراض الشعرية في مقدمتها مديح أهل البيت عليهم السلام ورثاؤهم، فضلًا عن القصائد الإخوانية وشعر المناسبات والتواريخ الشعرية وعدد من الأراجيز، وأكثر فيه أيضًا من التقاريظ الشعرية بخاصة تقاريظه لكتب أقرانه من العلماء.

آثاره العلمية:

ترك العلّامة الأوردبادي مؤلفات ورسائل ومقالات كثيرة وأشعارًا جيدة، جمعها مؤخرًا سبطه السيّد مهدي آل المجدد الشيرازي وطُبعت في موسوعة أنيقة بنشر مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، وقد ذكر بعضًا منها من سلّط قلمه لترجمته رحمه الله،وهي على النحو الآتي[٩]:

(قطف الزهر، إبراهيم بن مالك الأشتر، حياة العباس (عليه السلام)، حياة المجدد الشيرازي، سبع الدجيل؛ أبو جعفر محمد بن الإمام علي الهادي (عليه السلام)، سبيك النضار في شرح حال المختار، المثل الأعلى في ترجمة أبي يعلى، الروض الأغن، الكلمات التامات، رد البهائية، الرد على ابن بليهد القاضي الوهابية، الأنوار الساطعة في نسقية حجة الله القاطعة، حلق اللحية، منظومة في واقعة الطف، منظومة في مناضلة ارجوزة نير، سبك التبر، كتاب أدبي، تقريرات في الفقه والأصول، الجوهر النضيد، الدرة الغروية والتحفة العلوية، السبيل الجدد إلى حلقات السند، تفسير سورة الاخلاص، إثبات مفاسد المشروطة، الإجازات، أصول الفقه، تاريخ علماء زنجان، قطف الزهر، زهر الرياض، الحديقة المبهجة، الرياض الزاهرة، زهر الربى، الحدائق ذات الاكمام).

وفاته:

توفي في كربلاء في ليلة الأحد، ١٥ صفر، سنة ١٣٨٠هـ، فنقل إلى النجف وشيع تشيعاً يليق بمكانته وخدماته ودفن في الحجرة الثالثة على يسار الداخل إلى صحن الشريف من باب السوق الكبير، وهي التي دفن فيها الشيخ ميرزا علي الأيرواني، وغيرهم من الأعلام، واقيمت له حفلة في أربعينه في مسجد الشيخ الأنصاري، أبنه فيها العلماء ورثاه الشعراء [١٠].

مفهوم القرآنية

أثر القرآن الكريم في الأدب العربي (شعراً ونثراً) منذ عقوده الأولى، فمنذ بزوغ فجر الإسلام ألقى بظلاله على جميع منعطفات الحياة لاسيما الثقافية منها، فتغيرت مناحي الإنتاج الأدبي وبدأت تسلك توجهات جديدة تتناغم مع ما جاء به الدين الإسلامي ونص عليه القرآن الكريم مما

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

يمثل استجابة لمتطلبات الحياة الجديدة، فأخذ الأديب ينظر في كتاب الله ويستلهم معانيه ثم ينظم شعره أو يكتب نثره ليؤدي وظيفته المؤثرة في المجتمع.

يعدّ مفهوم القرآنية من المفاهيم الحديثة التي ظهرت على ساحة الأدب العربي، ويتجلى هذا المفهوم في تعامل الشعراء المعاصرين مع النص القرآني المقدس من حيث إنهم يقومون باستحضار النص القرآني وإضافته إلى النص الشعري، سواء كانت هذه الإضافة بشكل مباشر أو غير مباشر، ويرتبط هذا المصطلح بسلسلة مصطلحات سبقته، هي الاقتباس الذي هو في عرف البلاغيين: >أن يَضمّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث الشريف، لا على أنه منه<[١١]، والتضمين هو: >أن يضمّن الشاعر شيئاً من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء<[١٢]، والتناص وهو مصطلح حديث بدأ عند الباحثة البلغارية (جوليا كرستيفا) ويعني: (تعالق نصوص سابقة أو متزامنة مع نص حدث بكيفيات مختلفة)[١٣].

وجاءت محاولة الدكتور (مشتاق عباس معن) في طرح هذا المصطلح في بحثه الموسوم (القرآنية في شعر محمد حسين آل ياسين)[١٤]، ثم تلاحقت بعده عدة دراسات تأصّل للمصطلح وتُعنى بتطبيقه منها كتاب (القرآنية في شعر الروّاد) للدكتور إحسان الشيخ حاجم التميمي، وبحث (القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز) للدكتور علي المصلاوي، وبحث (القرآنية والوعي بالزمن) للدكتور أمجد حميد عبدالله.

وعُرِّفت القرآنية بأنها: >آلية من الآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤية والأنساق (بنيةً وإيقاعاً) بحسب ما مرسوم في الكتاب المقدس<[١٥]، وتعني كذلك: الإفادة من لدن الشعراء وغيرهم من المبدعين من القرآن الكريم، ويشكل هذا المورد المقدس أحد مدارك إنتاجية النص عند الشعراء الذين رثوا أهل البيت (عليهم السلام)[١٦] وإن مسألة الأخذ من القرآن الكريم هي ممارسة كبيرة عريقة، تمتد إلى جذور العصور الإسلامية الأولى، فضلاً على كون المأخوذ منه نصاً مقدساً ذا أثر كبير في نفس المرسل والمتلقي، ولاسيما إذا كانا مسلمين[١٧].

وقد وضعنا هذا المصطلح في البحث وأجريناه على أديب وشاعر فذ، استقى معانيه الشعرية

وصوره الفنية من معين الكتاب المبين، وسعينا في سبيل الحصول على النصوص الشعرية التي تخص موضوعنا من ديوانه المطبوع، وانتقينا منها الأصلح والأروع.

المبحث الأول: القرآنية المباشرة المحوّرة في شعر الأوردبادي.

هذا النمط أحد الأنماط التي يتبعها الأديب في التعامل مع البنية القرآنية، وفيه يعمد الشاعر: (لاستدعاء البنية القرآنية واستضافتها في خطابه الشعري، وجعلها ممتزجة معه عن طريق العملية التصويرية للنص القرآني، لفظاً ودلالةً، حذفاً وتوليداً، تكثيفاً وتوسعاً)[١٨]، وقد يطلق عليه الاقتباس الإشاري: وهو الاقتباس الذي يغيّر فيه الأديب لفظ النص وتركيبه، أو هو ما أشار إليه الأديب من الآيات، من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، أو هو ما عرف فيه أن الأديب يشير إلى آية من الآيات القرآنية، وفي هذا النوع يعمد الأديب إلى الاختصار والتكثيف اقتصاراً منه على الدلالات الإيحائية والإشارات الرمزية.[١٩]

وقد يتجلّى هذا النمط بالتصرف في النص القرآني عن طريق الحذف والذكر أو التقديم والتأخير أو يكون التحوير على الضمير فينقله من الغيبة إلى الحضور أو المتكلم إلى المخاطب، أو تكون مناقلة في الأدوات التي تدخل على الجملة الاسمية أو الفعلية، ويكون التفات المتلقي إلى تلك المرجعية بنحو أكثر تأملاً من الالتفاتات والاستضافات السابقة، [٢٠] بتعبير آخر أن يتعامل الشاعر تعاملاً لفظياً ودلالياً، ولكنه يحيل النص القرآني المستقر والمبدع إلى نص قلق البناء يفقد بناءاته الأولى، فهو يحوّر في الألفاظ ويقدم يؤخر[٢١].

وعندما نقلّب ديوان العلّامة الأوردبادي (رحمه الله)، يمكننا أن نتلمس ذلك النمط في شعره، فقد سبر أغوار النص القرآني ووقف على معانيه وإعجازه، واستقى من معينه وروافده، ووظف تلك المعاني بأسلوب أدبي رفيع، وبلغة رشيقة مبتعداً عن الإيغال والتكلف، ففي قصيدة له يرثي بها ولدي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) منتقلاً إلى رثاء سيد الشهداء (عليه السلام) يقول منها:

وتحسَبُهُم صَرعى رُقُوداً وإنّما على التُّرْبِ أيقَاظٌ بنو غالبٍ غُلْبُ[٢٢]

فنرى أن الشاعر قد استفاد في هذا البيت من قوله تعالى من سورة الكهف: {وتحسبهم أيقاظاً

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

وهم رقود}[٢٣]، فأخذ الألفاظ القرآنية: (تحسبهم، أيقاظ، رقود)، ثم عمل في النص تقديماً وتأخيراً محوّراً إياه، وقلب المعنى بما يخدم الغرض من البيت؛ فقال: إن الناظر يحسبهم رقوداً وهم أيقاظ على عكس المعنى الوارد في الآية.

ومن قصيدة له يهنئ فيها السيد الميرزا علي آقا الشيرازي بقدوم نجله من خراسان، يقول:

وذا للمُسنِتِينَ أَعَدَّ فضلاً قدوراً راسياتٍ كالجوابي[٢٤]

يوظف الشاعر الألفاظ القرآنية (قدور، راسيات، الجوابي) الواردة في قوله تعالى: {وجفانٍ كالجوابِ وقدورٍ راسياتٍ}[٢٥]، وتلاحظ كيف أن الشاعر يحوّر في بناء الآية، ففي الآية وصفان مستقلان، حيث إن الجوابي جاءت مشبهاً به لـ(الجفان)، ووصف (الراسيات) جاء وصفاً مستقلاً لـ(القدور)، أما الشاعر فقد جمع بين الوصفين وحذف (الجفان) المشبه الأول، وجعل (الجوابي) مشبهاً به بـ(القدور الراسيات).

وفي قصيدة له (رحمه الله) في مدح المختار بن أبي عبيد الثقفي واصفاً بطولاته في أخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، يقول:

تشوي الوجوهَ لَظىً بهِ نزَّاعَةٌ لشَوَى الكُماةِ بأنصُلٍ وشِفارِ[٢٦]

يقتبس الشاعر من قوله تعالى: {نزّاعَةً للشوى}[٢٧]، نلاحظ أن الشاعر هنا وبلمحة فطنة يستفيد من وصف القرآن الكريم لجهنم من أنها لشدة حرارتها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن، وينقله إلى وصف جيش المختار، وأنه سينزع من قتلة الحسين (عليه السلام) جلد رؤوسهم وأطراف بدنهم، مشيراً إلى شدة فتك ذلك الجيش بمن يقع في أيديهم من أولئك الذين خرجوا عن الإسلام ومرقوا عن الدين.

وفي أرجوزة له نظمها في مدح أبي الفضل العباس وإخوته (عليهم السلام) يعرّج فيها على ذكر المواقف البطولية للإمام العباس (عليه السلام) ومنها حثه لإخوته على الجهاد بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) ونيلهم الشهادة والمنزلة العظيمة، وأنه كان له على ذلك اجرٌ عظيم لا يبور:

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

فحازَ في موقِفِهِ أجورا تجارةً في الله لن تبورا[٢٨]

فقد أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: {يرجون تجارةً لن تبور}[٢٩]، فنلاحظ التوظيف الشعري للفظتي (تجارة، لن تبور)، وقد جاء هذا التوظيف مساوقاً لمعنى الآية الكريمة، فكأن الشاعر هنا وظّف الآية لفظاً ومعنى.

وفي الأرجوزة ذاتها يقف عند وصف شجاعة أبي الفضل العباس (عليه السلام) وكيف أنه أذاق الأعداء مرارة الهزيمة عندما أعمل سيفه فيهم، فولّى الجمع مدبراً، يقول:

وهُزِمَ الجمعُ وولّوا الدُّبُرْ كأنّما استُنفِرَ من ليثٍ حُمُرْ[٣٠]

وهذه من بديع التوظيفات القرآنية عند الشاعر، وممّا ينبئ عنه تمكنه وتسلّطه على الشعر، واستحضار آي القرآن في ذهنه، وقدرته على التصرّف فيها بما يلائم الغرض، فهو هنا يستحضر ثلاث آيات قرآنية في بيت واحد، واحدة في صدره، واثنتان في عجزه، الأولى قوله تعالى: {سيُهزَمُ الجمعُ ويولّون الدُّبرَ}[٣١]، والثانية والثالثة قوله تعالى من سورة (المدثر): {كأنهم حُمُرٌ مستنفرةٌ *فرّتْ من قَسورة}[٣٢]. فنلاحظ كيف أن الشاعر قد استحضر أكثر من معنى قرآني ووظفه في بيت واحد ليرسم به صورة قرآنية فنية رائعة.

ويستمر الشاعر بوصف شجاعة الإمام العباس (عليه السلام)، مستفيداً مما جاء في القرآن الكريم ومستحضراً معانيه، فيصف ما حلّ بالأعداء من كرده (عليه السلام) لهم بالطعن، بأنهم أصبحوا كالعهن المنفوش، يقول:

يقولُ إذ يكردُهُم بالطعنِ ينفشُ جمعَ الجمعِ مثل العهنِ[٣٣]

آخذاً هذا المعنى من قوله تعالى: {وتكون الجبالُ كالعهن المنفوش}[٣٤] فيجعل الشاعر المتلقي ينتقل بذهنه إلى ساحة المعركة، ليرى ما حلّ بجيش العِدا من جراء الطعنات المتتالية التي تلقوها من حامل لواء الحسين (عليه السلام)، وما تكابدوه من تشتت وفِرار.

ومن بديع توظيفاته القرآنية قوله مخاطباً صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف):

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

أبا صالحٍ سمعاً شِكايةَ مُكْمَدٍ أَحالَ ظلامُ الخَطْبِ أيّامَه ليلا

لقد مسّنا ضُرٌّ فهاك بضاعَةَ الـ وَ لَا غَيرَ مُزجَاةٍ فأَوفِ لنا الكيلا[٣٥]

وقد أخذ هذا المعنى من سورة يوسف: {قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضرُّ وجئنا ببضاعةٍ مزجاة فأوفِ لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين}[٣٦]، وزاد المعنى جمالية بقوله: (غير مزجاة)؛ لأن الولاءَ بضاعة غالية صالحة، وليست مزجاة، فإن المزجاة هي التي فيها إغماض لم يتم صلاحها، أو هي اليسيرة القليلة.

المبحث الثاني:القرآنية غير المباشرة المحوّرة في شعر الأوردبادي

ويعني هذا النمط أن يستلهم الشاعر لفظة أو لفظتين لتوظيفهما في انزياح لغوي جديد[٣٧]، ولأنّ القرآن الكريم هو المصدر الأول الملهم لشعراء أهل البيت (عليهم السلام)، فقد هيمن على ذاكرتهم، فسرعان ما تُحال ذاكرتهم على آية من آيات القرآن أو سورة من سوره، لمجرد أن تتلقف أذنهم كلمة أو كلمتين ممّا يدور في هذا الكتاب المقدس[٣٨].

ويتجلى هذا النوع من القرآنية عندما يحشر الشاعر لفظة واحدة من ألفاظ القرآن الكريم في عباراته الشعرية، وإن هذا الملفوظ الواحد يقوم بدور الإشارة إلى النص القرآني بعينه، وهذا النوع أقل وضوحاً من القرآنية المباشرة، التي لا تتطلب عناءً كبيراً لمعرفة مكامن التقاطع فيه مع النصوص، وفي هذا النوع يحتاج المتلقي إلى ثقافة أكبر وإحاطة بالنصوص القرآنية أعظم مما هي الحال في القرآنية المباشرة، إذ لا دليل عليها غير إشارة واحدة[٣٩]، ويمكننا أن نتلمس هذا النوع من القرآنية غير المباشرة في شعر العلّامة الأوردبادي، فقد استفاد منه في قصيدة يمدح فيها السادة الحضرميين في جاوة وملقا، حيث يعدد أوصافهم المستقاة من صفات آل بيت النبوة (عليهم السلام)، منتهياً إلى قوله:

وتدعو للسلام بنو عليٍّ وإمّا خوطبوا قالوا سلاما[٤٠]

فالشاعر هنا يستقي هذا الوصف الذي وصف به السادة الحضرميين من وصف القرآن الكريم

لعباد الرحمن، كما في قوله تعالى: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٤١]، فيصفهم بأنهم إذا شنع عليهم المخالفين في النيل من عقيدتهم وانتسابهم لآل النبي (ʾ) تجاوزا عنهم قائلين لهم (سلاماً)، أي: نسلم منكم لا نجاهلكم، ونترككم لا خير بيننا ولا شر، وهو سداد من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم[٤٢]. وفي الواقع أن اللفظة لها إيحاء مميّز لا تمتلكه جميع الألفاظ، وذلك لأنها ملفوظ قرآني أصلاً وإلا فالألفاظ المفردة لا يمكن أن تكون مشتركة بين ما يقوله الناس وما هو في القرآن إلّا أنها تُوظّف في سياق ومطلب قرآني فتُحسب على ملفوظات القرآن[٤٣]، اذ (إنّ الأسلوب وجه من وجوه المعنى)[٤٤]، وهنا ملفوظ (سلاما) جاء مقروناً بأجواء مشابهة لأجواء النص القرآني.

ويقرّظ العلّامة الأوردبادي كتاب (القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل) للسيّد علوي بن طاهر الحداد الهدار حضرميّ، ويستحضر ما ورد في القرآن الكريم من وصف لقوله تعالى من أنه يفصل بين الحق والباطل، وما هو بهزل ولعب[٤٥]. من قوله تعالى: {إنه لقول فصل * وما هو بالهزل}[٤٦]،ثم ينزاح بهذا المعنى القرآني واصفاً به ما ورد في هذا الكتاب من قول حق لا يخالطه الزور والبهتان، إذ يقول:

هي البيضُ وقعاً والسهام مراشقاً وقول هدى فصلٌ وما هو بالهزلِ[٤٧]

وظاهرٌ في البيت من مبالغة يلجأ إليها الشعراء أحياناً لتثبيت غرض أو إيصال معنى.

وقد كان المثل القرآني مادة خصبة للشعراء، وظفوها في أشعارهم لإلفات انتباه المتلقي وتنبيهه وتحذيره أحياناً لما للأمثال من رسوخ في الذهن وذياع على الألسن، فتطبق شهرتها ويكثر تداولها ودورانها، لذلك تجدها ملأى بالحكم والمواعظ، فهي تختزل معاني كثيرة بألفاظ يسيرة، ونجد مثل هذا التوظيف للمثل القرآني عند شاعرنا الأوردبادي، لاسيما في قصائده التي كانت تنظم لتلقى في المحافل الإسلامية، لكي يؤدي ذلك المثل غرضه ومرامه، فنقرأ له بيتين من قصيدة نظمها في يوم مبعث النبي (ʾ) متخلصاً فيها إلى رثاء السبط الشهيد (×)، يقول:

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

ومختالها زبداً رابياً فلا تذهبنّ جفاءً وذُلْ

سرابٌ يلوح بقيعانها ومَن أظمَأَتْهُ الأماني يَخَلْ[٤٨]

فقد استوحى الشاعر المثل القرآني في البيت الأول من قوله تعالى: {كذلك يضرب الله الحق والباطل فأمّا الزبدُ فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال}[٤٩]، وهو مثل ضره الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثّل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع، وشبّه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله وانسلاخه من المنفعة بزبد السيل الذي يُرمى به[٥٠]. فأخذ الشاعر هذا المعنى من المثل القرآني وأزاحه للمختال من الدنيا، أي الذي ينغرّ بها ويرجو منها الأماني والدعة والراحة، فهو يذكّر أبناء زمانه بالحذر من هذه الدنيا التي غدرت بأصفياء الله وأنبيائه وأوليائه، وقد حذّروا منها مراراً وتكراراً، وشدّدوا على عدم الغرور بزخرفها الزائل.

أما في البيت الثاني، فيستفيد الشاعر من المثل القرآني المتضمّن في قوله تعالى: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً}[٥١]، حيث شبّه ما يعمله مَن لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم[٥٢]، فيستعمل الشاعر الملفوظ القرآني (الظمأ) وما ورد فيه من سياق المثل، ليؤكد به تحذيره للمغترين بالدنيا، بخاصة الذين لا يسيرون بهدي أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم حجج الله على الخلق، ونجوم الهداية وسفن النجاة، فما يعملون من أعمال يحسبون أنها ستنفعهم وتنجيهم من عذاب يوم شديد، ما هي إلّا سراب لا يغنيهم يوم العطش الأكبر.

الخاتمة

وفي نهاية العمل نودّ أن نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي على النحو الآتي:

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

١- القرآنية من المفاهيم الحديثة في الساحة الأدبية، وأهم ما فيها هو المحافظة على قدسية النص القرآني.

٢- إنّ تضمين الآيات القرآنية في شعر العلّامة الأوردبادي كان بدقة عالية من الشاعر، ممتزجاً تمام الامتزاج، ومحتلاً موقعه في نسيج البيت الشعري.

٣- كان بناء النص القرآني في شعر الأوردبادي بيّن المعالم وواضحاً، كشف عن استعمال جيد من قبل الشاعر، ومن جانب آخر نجد فصل الآيات القرآنية عن البيت الشعري ليست بالعملية المعقدة، بل هي بسيطة جداً لمن يقرأ النص الشعري قراءة نموذجية منتجة.

٤- تعدد أنواع القرآنية في شعر الأوردبادي، فمنها موافقة للنص في اللفظ والمعنى، ومنها مخالفة، وتعدد المقصود منها، فبعضها يشير إلى الرمز، وبعضها الآخر إلى الاستغاثة، وضرب المثل، وابتكار الصورة، وهذا يدل على الإمكانات الفنية الكبيرة للشاعر.

٥- شكلت القرآنية غير المباشرة المحوّرة النسبة الأقل في ديوان الشاعر.

٦- لقد وجد الشاعر في بعض القَصص والأمثال القرآنية وسيلة للتعبير عن بعض الخصائص الإنسانية.

هوامش البحث

(١) ينظر: الكنى والألقاب، عباس القمي: ٢/ ٢٠، موسوعة العلامة الأوردبادي، جمع وتحقيق السيد مهدي الشيرازي (سبط المؤلف): ١/٥٤.

(٢) ينظر: الكنى والألقاب: ٢/ ٢٠-٢١.

(٣) أعيان الشيعة: ٤٣٧/٩، و المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٤٣، و معجم مؤرخي الشيعة: ٢٧٧/٢.

(٤) ينظر: الكنى والالقاب: ٢٠/٢.

(٥) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٣٣٢/١٦.

(٦) ينظر: المنتخب من أعلام الفكر والادب: ٥٤٣.

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

(٧) ينظر: معجم مؤرخي الشيعة: ٢/٢٧٧.
(٨) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/١٤،
(٩) ينظر: موسوعة العلامة الأوردبادي: ١/١٠٩-١١٣، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/١٤، مصفى المقال في مصنفي الرجال: ٣٠٧، معجم المطبوعات النجفية: ٢٤٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٤٤.
(١٠) طبقات أعلام الشيعة: ١٦/١٣٣٥، المنتخب: ٥٤٥.
*وهو لقب أطلق على ثلاث رجال دين من العلماء والشعراء لكثرة تواصلهم ولكثرة تواجدهم معاً.
(١١) الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ): ٣١٢.
(١٢) المصدر نفسه: ٣١٦.
(١٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ١٢١.
(١٤) القرآنية في شعر الرواد: هامش (ص١٢)
(١٥) ينظر تأصيل النص: ١٧١.
(١٦) ينظر تأصيل النص: ١٥٢.
(١٧) ينظر تأصيل النص: ١٣٩.
(١٨) القرآنية في شعر الروّاد: ٤٥.
(١٩) أثر القرآن في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر: ١١٠.
(٢٠) ينظر القرآنية في نهج البلاغة: ٧٥.
(٢١) تأصيل النص: ١٨٣.
(٢٢) الديوان: ٥١.
(٢٣) سورة الكهف/١٨.
(٢٤) الديوان: ٦٨.
(٢٥) سورة سبأ/ ١٣.

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

(٢٦) الديوان: ١٩١.
(٢٧) سورة المعارج/ ١٦.
(٢٨) الديوان: ٥٥٨.
(٢٩) سورة فاطر/ ٢٩.
(٣٠) الديوان: ٥٦٢.
(٣١) سورة القمر/ ٤٥.
(٣٢) سورة المدثر، الآيتان/ ٥٠-٥١.
(٣٣) الديوان: ٥٦٢.
(٣٤) سورة القارعة/ ٥.
(٣٥) الديوان: ٤٢٤.
(٣٦) سورة يوسف/ ٨٨.
(٣٧) ينظر التناص في شعر أبي العلاء المعري: ١٣٤.
(٣٨) ينظر القرآنية في مراثي العباس بن علي (×): ١٠٠.
(٣٩) ينظر القرآنية في مراثي العباس بن علي (×): ١٠٠.
(٤٠) الديوان: ٤٥٨.
(٤١) سورة الفرقان/ ٦٣.
(٤٢) تفسير الكشاف: ٣/ ٢٩١.
(٤٣) ينظر القرآنية في مراثي العباس بن علي (×): ١٠١.
(٤٤) الأسلوب والأسلوبية: ٢٣.
(٤٥) الوجيز: ١١٩٢-١١٩٣.
(٤٦) سورة الطارق/ ١٣-١٤.
(٤٧) الديوان: ٤١٩.

(٤٨) الديوان: ٤١٢.

(٤٩) سورة الرعد/ ١٧.

(٥٠) الكشاف: ٢/ ٥٢٣.

(٥١) سورة النور/ ٣٩.

(٥٢) الكشاف: ٣/ ٢٤٣.

ثبت المصادر

- القرآن الكريم

١- أثر القرآن في الشعر الأندلسي-عصر بني الأحمر، عروبة عودة محمد الحلفي، كلية التربية، جامعة بغداد ٢٠٠٤م، رسالة ماجستير غير منشورة.

٢- الأسلوب والأسلوبية، كراهم هاف، ترجمة: كاظم سعد الدين، مجلة آفاق، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، العدد/١، كانون الثاني، ١٩٨٥م.

٣- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧٧هـ)، ت: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات-بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٣م.

٥- تأصيل النص، د. مشتاق عباس معن، ط/١، مركز عبادي-صنعاء، ١٤٢٤هـ .

٦- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية النص)، د. محمد مفتاح، ط/١، دار التنوير للطباعة-بيروت، ١٩٨٥م.

٧- التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم مصطفى محمد الدهون، ط/١، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، ٢٠١١م.

٨- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، ت: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، ط/١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٨م.

٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن بن محمد صادق آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، تقديم: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ط/٣، دار الأضواء-بيروت، ١٤٠٣هـ .

١٠- طبقات أعلام الشيعة، محمد محسن بن محمد صادق آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩م.

١١- القرآنية في شعر الروّاد، د. احسان الشيخ حاجم التميمي، ط/١، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ٢٠١٣م.

١٢- القرآنية في مراثي العباس بن علي (عليه السلام)، مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي، مجلة جامعة أهل البيت (عليهم السلام)، العدد/٢٠، ١٨/ديسمبر/٢٠١٦م.

١٣- القرآنية في نهج البلاغة، علي ذياب محي العبادي، مجلة العميد، المجلد الرابع، العدد السادس، ٢٠١٣م.

١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط/٣، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٤٠٧هـ .

١٥- الكنى والألقاب، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي (ت١٣٥٩هـ)، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر-طهران، ١٣٨٩.

م.م. علي حبيب غضبان / جامعة كربلاء- كلية العلوم الاسلامية
aligh1979@gmail.com

١٦- مصفى المقال في مصنفي الرجال، محمد محسن بن محمد صادق آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، ط/٢، ١٩٥٩م.

١٧- معجم المطبوعات النجفية، محمد هادي الأميني، ط/١، مطبعة الآداب-النجف، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

١٨- معجم مؤرخي الشيعة، صائب عبد الصمد، ط/١، مؤسسة مؤرخي الشيعة، ٢٠٠٤م.

١٩- المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي، ط/١، مؤسسة مواهب-بيروت، ١٩٩٩.

٢٠- موسوعة العلامة الأوردبادي، محمد علي بن ابي القاسم بن محمد تقي (ت١٣٨٠هـ)، ت: مهدي آل المجدد الشيرازي (سبط المؤلف)، ط/١، مكتبة العتبة العباسية المقدسة-كربلاء، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٢١- الوجيز، أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، ت: صفوان عدنان داوودي، ط/١، دار القلم-الدار الشامية، بيروت-دمشق، ١٤١٥هـ